الفصل الأربعون

مملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عربٌ عرفوا بـ (آل غسان)، وبـ (آل جفنة) وبـ (الغساسنة) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشأم،زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوهم في العراق .

وقد نقلت كلمة (غسّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان)، ببلاد (عك) بزبيد وربيع ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه،أخذوا اسمهم منه،فسموا (غسان)[1] ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان) .

ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السدّ . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشأم . وحادث تصدع السدّ لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الازد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السدّ مراراً ورمّ

---

١ حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٢/٣٠) ، القاموس (٤/٢٥٣) ،
أما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان
البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لابي سعيد السكري ، (ص ٣٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ديوان حسان (ص) (هرشفلد) .

مراراً . والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هـذا التصدع كان قـد وقع قبل الإسلام بزمن ، وقد بقيت ذكراه عالقة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّ أعلى يدعونه (جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر) على رأي[1] ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن[2] . ويذكر (ابن دريد) ان (جفنة) إما من (الجفنة) المعروفة ، أو من (الجفن) ، وهو (الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر ان المثل المشهور بين الناس : « وعند جهينة الخبر اليقين » ، هو خطأ تقوله العامة، وان صوابه : « وعند جفينة الخبر اليقين »[3] .

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان في نصوص المسند ، كذلك لم نظفر بـه في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون ان الذي قاد الغساسنة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ (مزيقيا) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[4] . ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات[5] .

وروى (ابن قتيبة الدينوري) ان (عمرو بن عامر مزيقياء) لما خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم (سملقة) (سلمقة) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقـام حتى يبعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم روّاداً فمات عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده وروّاده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو، وان رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سلمقة (سملقة)،

---

١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
شرح ديوان حسان بن ثابت ، (اخراج البرقوقي) ، (طبع المطبعة الرحمانية)، القاهرة ١٩٢٩ م ، (ص ٣٠٩) شمس العلوم (حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢) ، اللسان (٩١/١٣) ، (جفن) .

٢ شمس العلوم ، (حـ ١ ق ١ ص ٣٤٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، اللسان (٩١/١٣) ، (صادر) ، (جفـن) .

٤ حمزة (ص ٧٧) .

٥ مروج (٣٠/٢) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلت عك أبرح قتل وخرجوا هاربين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاة البيت ، فنزلوا بطن مرّ وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلتهم جرهم ، فنصرت الأزد عليهم ، فأجلوهم عن مكة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار (قصي) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانه قيصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجمعاً ، وأقامت الأزد زماناً[1].

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فملكوا بها . منهم (جذيمة بن مالك بن الأبرش) ومن تبعه. وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشأم، فهم (آل جفنة) ملوك الشأم . وصار جذع بن سنان قاتل سلمقة الى الشأم أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قيصر قدم عليهم ليجبيهم فطالبهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن نعطيك . فقال له العامل: اجعله في كذا وكذا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذعٍ ما أعطاك ، فذهبت مثلاً .

فمضى كاتب العامل الى قيصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزد من أطاعه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وتقووا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولما صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، حالفوهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نقضت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزد[2] .

وللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزيقياء. وقد ذكر (حمزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وتزعم الأزد أن عمراً انما سمي مزيقياء لأنه كان يمزق كل يوم من سني ملكه حلتين لئلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزيقياء . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزيقيا ، لأن الأزد

---

١ المعارف (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

٢ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ »[1] . ومال (نولدكه) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبارٍ شكور »[2].

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدّهم (عمرو) واقتداره[3] . وأما ما ذهب اليه (نولدكه) ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفرق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزح معهم من اليمن قومهم من الأزد ، فنزل المدينة رهط « ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج،ونزل مكة رهط حارثة ابن عمرو بن عامر،وهم خزاعة،ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام،وهم الغساسنة ونزل لخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر »[4] . فوصل أهل الأخبار بذلك تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل لخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث (سيل العرم) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لنفر من الأنصار ، ورد فيه انتساب أهل يثرب الى (عمرو بن عامر) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر للشاعر الأنصاري المعروف (حسان بن ثابت) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقى[5]

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الأنصار هو :

أنا ابن مُزيقيا عمرو ، وجدي أبوه عامر ماء السماء[6]

---

١ حمزة (ص ٧٧) ، (وهو مزيقياء . كان يمزق كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده) ، الاشتقاق (ص ٢٥٨) .

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، نولدكه : أمراء غسان ، (ص ٣) ، ملحوظة ١ (الترجمة العربية) .

٣ أمراء غسان (ص ٣ وما بعدها) ، (ص ٥) من النص الالماني .

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

٥ البرقوقي (ص ٢٨٦) .

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

فالأنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الغساسنة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سيل العرم على نحو ما رأيت .

وافتخار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لخم، مع انهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افترقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ونجد لحسان بن ثابت شعراً في الغساسنة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر ان لقرب الغساسنة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الغساسنة بيسر وسهولة، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لغسان على آل لخم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « انه انما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزد مخمصة ، فأتاهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا بدل ماء السماء »[1]. وقد عرف أشخاص آخرون بـ (ماء السماء) من غير غسان ، منهم (المنذر بن امرىء القيس اللخمي) و (ماء السماء بن عروة) من ملوك (الحيرة) على زعم (ابن الكلبي)[2] . وقد نعت (حسان بن ثابت) الغساسنة الذين جاءوا من بعده بـ (أولاد مـاء المزن) . و (المزن = المطر) . يريد بذلك (أولاد ماء السماء) ، أي : (بني ماء السماء) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصد الشاعر بذلك ان (آل غسان)، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جدّ الغساسنة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنعت بهذا النعت الـدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلازمتهم حتى اليوم[3] .

ونسب آل غسان الى جد آخر ، يعرف بـ (ثعلبة) . وقد أشير الى (عرب الروم من آل ثعلبة)[4] . وقـد ذكر (محمد بن حبيب) ، أن رئيس غسان

---

١ حمزة (ص ٧٧) (مانهم ـ أي احتمل مؤنتهم ، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب) البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٢ المحبـــر (ص ٣٦٥) .

٣ كحفنة والقمقام عمرو بن عامـر وأولاد ماء المزن وابني محـرق
البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ غسان (ص ٤) .

الذي قضى على (الضجاعمة) ، وانتزع الملك من (سليح) ، هـو (ثعلبة) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مـازن بن الأزد[1] . ومن نسله كان ملوك غسان ، فهو اذن (ثعلبة) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ (الضجاعمة) ، وهم من (سليح ابن حلوان)[2] .

وبنو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى (سليح بن حلوان بن عمـران ابن الحاف بن قضاعة)[3] . وقد نسبهم (ابن دريد) الى (سليـح بن عمران ابن الحاف) ، وجعل لـ (سليح) شقيقاً هو (تزيد) جدّ (التزيديين)[4] . ونسبهم (السكري) الى (سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعـة)[5] . ولكن اختلاف النسابين هـذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في (قضاعة) حيث يتفق الكل أن (سليحاً) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستدرك على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة »[6] .

وقد ذكر أهل الأخبار ان (بني سليح) بقوا في بلاد الشأم ، اذ ذكروهم في أخبار الفتوح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشأم . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في (قنسرين) في ايام المهدي[7] .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهبولة ملك الشأم، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المرار ، وذكروا انه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم،فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاويـة . فلما سمع

---

١ المحبـر (ص ٣٧١) .
٢ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
٣ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) ، الاكليل (١/١٨٢) .
٤ الاشتقاق (٢/٣١٤) .
٥ المحبر (ص ٣٧٠) .
٦ المعارف (ص ٢٧٨) ، (أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو مـن غسان ، ويقال من قضاعة) ، (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
٧ فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ١٥٢) (طبعة القاهرة (١٩٠) .

حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعمرو بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ (البردان) دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر عـلى أتباع (ابن الهبولة) ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل[1] .

وتذكر رواية ان (حجـراً) أرسل (سدوس بن شيبان) و (صليع بن عبد غنم) الى عسكر (زياد) يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً، فشد (سدوس) على زياد واعتنقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه (عمرو بن أبي ربيعـة) حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيره ، وطالب بديته ، دية الملوك ، فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله[2] .

ويقتضي على هذه الرواية ان يكون ملك (زياد بن الهبولة) في وقت متأخر اذ لا ينسجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من ان ملك (بني سليح) كان قبل الغساسنة[3] . ولو أخذنا بالخبر المتقـدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في ايام الغساسنة لا قبل ذلك .

وقد ذكر (ابن الأثير) أن (زياد بن هبولة) لم يكن ملكاً على الشأم ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشأم مما يلي البرّ من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشأم ولا بشبر واحـد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلص من قوله برأي توفيقي ، بأن افترض ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم او متغلباً على بعض أطراف الشأم ، فهو غير ذلك الملك المذكور[4] .

---

١ ابن الاثير (٢٠٨/١) ، حمزة (ص ٩٢) ، الاغاني (٨٢/١٥) ، أيام العرب (٤٢) .
٢ أيام العرب (٤٥) .
٣ ابن الاثـير (٢٠٨/١) .
٤ أيام العرب (٤٥) .

وقد تحدث (أبو عبيدة) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان[1] .

وقد تحدثت بعض الروايات عن (زياد بن هبولة) على هذا النحو : « منهم داوود اللثق بن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرّق بالنار »[2] . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه (هبالة) ، وجعلت (داوود اللثق) شقيقاً له . أما الروايات الشائعة ، فتجعل (داوود اللثق) ابناً لـ (هبالة) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف)، فهبولة على هذا وهبالة أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم[3] .

وأما ملوك (سليح) على رواية (ابن قتيبة الدينوري) ، فهم : (النعمان ابن عمرو بن مالك) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان دانوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم (عمرو) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد (عمرو) الى الغساسنة[4] .

ونسب الأخباريون (الضجاعمة) الى (بني ضجعم بن حماطة بن سعد بن سُليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة)[5] . فهم على هذا النسب ، ومن (بني سليح) ومن قبايل قضاعة ، وقد حكموا بعد حكم (بني سليح) .

ونسب بعض الأخباريين (ضجعم) الى (سعد بن سليح) ، أي باسقاط اسم (حماطة) من النسب ، بأن جعلوا (سعد بن سليح) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم (داوود اللثق بن هبولة بن عمرو) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان (داوود بن هبولة) هو شقيق (هبالة بن عمرو ابن عوف بن ضجعم)[6] .

---

١ أيام العرب (٤٥) .
٢ الاشتقاق (٢/٣١٩) .
٣ الاشتقاق (٢/٣١٩) .
٤ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (ص ٦٤٠) ، (ثروت عكاشة) .
٥ المحبر (ص ٣٧٠) ، الاشتقاق (٢/٣١٩) ، ابن خلدون (٢/٢٧٩) ، حمزة (٧٦) ، غسان (٦) ، الاكليل (١/١٨٢) .
٦ الاشتقاق (٢/٣١٩) .

ويظهر ان (داوود اللثق) كان قد اعتنق النصرانية ، وكان قد عمل للروم . واليه ينسب (دير داوود) (دير الداوود)[1] .

ويظهر من بعض الروايات ان (زياد بن هبولة) الذي حارب (حجراً آكل المرار) ، كان أخاً لـ (داوود) . ويظهر من روايات أخرى انه كان ابن عم له[2] . واذا اخذنا برواية من زعم ان (زياداً) هذا حارب (حجراً آكل المرار) ، فمعنى هذا ان (جفنة) ، وهو مؤسس إمارة آل جفنة ، أي الغساسنة ، قد حكم بعد (زياد) . وقد زعم (حمزة) ان ملكاً من ملوك الروم اسمه (نسطورس) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام[3] . وذهب بعض أهل الأخبار الى ان القيصر الذي عيّن (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنسطاسيوس) (Anastasius) الأول ، الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد . فتكون نهاية حكم الضجاعمة وبداية حكومة (آل جفنة) في هذا العهد[4] .

و (ضجعم) هو (Zocomus) أحد (العمال) (Phylarch) الذين نصبهم الروم على عرب بلاد الشأم ، حرّف اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره (ثيوفلكتوس) (Theophylactus) على هذه الصورة : (Zeokomos) [5] ، وذكر انه هو وقبيلته دخلوا في النصرانية وان الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى[6] .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا مثل سائر القبائل المستعربة المستنصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل) في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد، وكان رئيسهم اذ ذاك هو (ابن الحدرجان)[7].

لقد أشار المؤرخون اليونان والسريان الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Maula) (Mavia) (Mawiya) ، حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشأم، وهاجمت

---

١ Die Araber, II, S. 331.

٢ الاشتقاق (٢/٣١٩) ، ابن الاثير (١/٣٧٢) ، ابن خلدون (٢/٢٧٨) .

٣ حمزة (ص ٧٧) .

٤ Die Araber, II, S. 332.

٥ Sozomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, S. 330.

٦ غسان (ص ٦) ، (ص ٨) من النص الالماني ،
Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 30, Rufinius, II, 6, Theodoretus, 40, 21.

٧ الطبري (٣/٣٧٨) (خبر دومة الجندل) .

فلسطين و (فينيقية) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر (والنس) (Valens) (٣٦٤ – ٣٧٨ م) انطاكية وذلك سنة (٣٧٨ م)[١] . وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسقَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشأم ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هـذا الراهب كاثوليكياً معارضاً لمذهب أريوس[٢] .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أنزلت الدمار والخراب بقرى وبمدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و (الحدود العربية) (Arabici Limites) . وتذكر أن عربها كانوا من الـ (سارسين) (سرسين) (Saracene)[٣] .

وقد وليت (ماوية) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينها وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينهما ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم. ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترضيتها على نحو ما ذكرت[٤] .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم[٥] .

وقد حكم قبل (ماوية) (عامل) عربي أشار اليه المؤرخ (أميانوس) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من (السرسين) ، (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)[٦] ، وقد حكم

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV, 36, Sozomenus, VI, 38, Eusebios, 2, 2.

٢ المشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، (ص ٥٢٤) ، Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

٣ Die Araber, II, S. 328.

٤ Die Araber, II, S. 328.

٥ Die Araber, II, S. 330.

٦ Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabia, III, S. 286.

في أيام (يوليان) (جوليان) (Julian) (٣٦١ – ٣٦٣م) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ (اسانيته) (Assanitae) الغساسنة ، أي ان الكلمة من أصل (غسان)[١] .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة (ماوية) ، كان في أيام الغساسنة ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه (آل جفنة) على عرب بلاد الشأم . وهذا ما لا تؤيده الموارد التأريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي (الغساسنة) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشأم ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت (فينيقية) و (مصر) ، ولم يكن حكم الغساسنة متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشأم يعود الى أيام (فالغ بن هور) (فالغ ابن يغور) . وقد صيّره من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) (سومات) ، وهو (أيوب بن رزاح) . ثم انتقل ملك الشأم على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشأم ، وانضافوا الى ملوك الروم،فملّكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشأم من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تنوخ بالشأم . ثم ملك بعده عمرو ، ثم (الحواري بن النعمان) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان[٢] .

وقد كانت سليح – كما يذكر الأخباريون – يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشأم حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم:إن أقررتم بالخرج،وإلاّ قاتلناكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجبونهم لكل رأس ديناراً،ودينارا ونصفاً،ودينارين في كل سنة على أقدارهم فلبثوا يجبونهم حتى قتل (جذع بن عمرو الغساني) جابي سليح،وهو سبيط بن المنذر بن عمرو

---

١ Musil, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج (٢/٢٩ وما بعدها) ، (٢/٨٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

ابن عوف بن ضجعم بن حماطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتقوا بموضع يقال له (المحفئ) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل الى ثعلبة ، فقال: أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قتلتم هذا الحي ، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة وإني جاعلكم مكانهم ، وكاتب بيني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين الف مقاتل من الروم بأداتهم ، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة،وكتب الكتاب بينهم . فملّك ثعلبة وتوّجهُ . وكان ملك الروم يقال له (ديقيوس)[1] .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القائل ، وهو منصوص عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبيط ، وقال آخرون : انه سبطة[2] ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم[3] .

وقد زعم بعض أهل الأخبار،ان اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضجاعمة هو (يوم حليمة) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الضجاعمة والغساسنة للسبب الذي ذكرته ، وقالوا « خذ من جذع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها (حليمة) ، فأعطاها خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغساسنة بذلك اليوم على الغساسنة . فقالوا : « ما يوم حليمة بسر »[4] .

ونسب ابن خلدون (سبطة) القتيل الى المنذر بن داوود[5] ، ويظهر انه قصد (داوود اللثق) . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يدل على انه كان نصرانياً[6] ، كما أشرت الى ذلك قبل قليل .

وعندي أن (سبطة) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

---

١ المحبر (ص ٣٧٠ وما بعدها) ، حمزة (ص ٧٦) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٩) .
٣ اليعقوبي (١/١٦٧) (طبعة النجف) .
٤ البلدان (٢/٣٢٥ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) .
٥ ابن خلدون (٢/٢٧٩) .
٦ غسان (ص ٧) ، الاصل الالماني (ص ٨) .

الذي قيل إنه كان عاملاً (فيلارك) (Phylarch) عربياً من عمال الفرس ، فأغار على (الكورة العربية) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استولى عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها [1] .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم انه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكه على عرب الشأم . فلما ملك ، قتل قضاعة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ، ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم ، وبني جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر [2] .

وقد ابتدأ (حسان بن ثابت) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه [3]. وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة (آل جفنة) ، كما سُمّي خصومهم (المناذرة) بـ (آل لخم) . والى هذا الرأي ذهب (الأصمعي) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، واليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره » [4] . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه أوصى بها بنيه في كيفية السير بالناس ، وتسيير الملك [5] .

وعند المسعودي ان اول من ملك من بني غسان بالشأم الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة،وهو ابن مارية

---

١ Provincia Arabia, III, S. 286, Euthymili Vita, Ed : Cotelerius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221.

٢ حمزة (ص ٧٦) ، (جفنة بن علية بن عمرو بن عامر) ، اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) (جفنة بن مزيقيا) ، ابن خلدون (٢٨١/٢) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، للبطليوسي (ص ٦) ، التنبيه (ص ١٥٨) .

٣ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
الاصمعي ، تأريخ ملوك العرب الاولية ، (ص ١٠٢) ، (محمد حسن آل ياسين)
كجفنة والقمقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق .
البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الاصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولية (ص ١٠٢) .

٥ المصدر نفسه (ص ١٠١) .

ذات القرطين[1] . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ (محرّق) . وسمي بمحرّق لأنه أول من حرّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر[2] .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، (هو محرّق ، وهو أول من عذّب بالنار)[3] . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذّب وحرق الناس بالنار .

وذهب (محمد بن حبيب) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشأم هو (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد)، وذلك بعد فتك (جذع) بالضجاعمة فعهد اليه ملك الروم (ديقيوس) أمر تولي رئاسة عرب بلاد الشأم ، وملّكه وتوّجه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك غسان[4] ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و (جفنة) الذي صيّره حمزة أول من ملك من غسان ، هو (جفنة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرّق، وثعلبة وهو العنقاء (العنقاه) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعوف ، وذهل ، وواكل[5] . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشأم .

وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند[6] .

أما (الأصمعي) فقد أورد اسم (الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو) ، بعد اسم (جفنة) . وقال عنه (وهو الحارث الأكبر) ثم ذكر له وصية وصى

---

١ مروج (١/٢٩٨) (طبع المطبعة البهية) .
٢ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
٤ المحبر (ص ٣٧١ وما بعدها) .
٥ ابن خلدون (٢/٢٧٩) ، الاشتقاق (٢٥٩) .
٦ حمزة (ص ٧٧) .

بها ابنه (عمرو بن الحارث) وهي وصية نظمها شعراً. وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبـي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم[1] .

وأما (محمد بن حبيب) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنذر ابن الحارث ثم للمنيذر بن الحارث ، ثم لجبلة بن الحارث[2] .

وأما (ابن قتيبة) ، الذي جعل (الحارث بن عمرو بن محرّق) أول ملوك آل غسان ، فقد وضع (الحارث بن أبـي شمر) من بعده . وقال : انه الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأيمنهم طائراً ، وأبعدهم مغاراً . وكان غزا (خيبر) ، فسبى من أهلها ، ثم أعتقهم بعد ما قدم الشأم . وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئـة الف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فيهم لبيد الشاعر وهو غلام ، وأظهر انه انما بعث بهم لمصالحته ، فأحاطوا برواقه فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموهم، وكانت له بنت يقال لها (حليمة) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئـذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليمة بسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأتاه النابغة ، فسأله اطلاقهم ، فأطلقهم ، وأتاه علقمـة ابن عبدة في أسارى من بني تميم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة[3] .

وروى (ابن قتيبة) أيضاً ان (علقمة بن عبدة) قال في (الحارث بن أبـي شمر) هذه الأبيات :

الى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيَنْ وجبيبُ
وفي كل حيّ قد خَبطت بنعمة فحقّ لشأس من نداك ذُنوب

فقال الحارث : نعم وأذنبة[4] .

---

١ الاصمعي ، تاريخ (١٠٣ وما بعدها) .
٢ المحبر (ص ٢٧٢) .
٣ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٤ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (ثروت عكاشة) .

وزعم (ابن قتيبة) ان الذي ولى الملك بعد (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) ، هو ابنه (الحارث بن الحارث بن الحارث) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هـذا غلام حسن وجهـه مستقبل الخـير سريع التمام
للحرث الأكبر والحارث الأصغر والحرث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان خرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها[1]

وقد وهم (ابن قتيبة) في (الحارث بن أبي شمر) إذ صيّره الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنـه (الحارث بن جبلة) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . ووهم في (الحارث الأصغر) أيضاً حين صيّره في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يـلي البلقاء[2] . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يـلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة[3] .

ثم تولى من بعـده (الحارث) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبنِ شيئاً . ثم ذكر من بعده (جبلة بن الحارث) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين[4] . وجعل (البطليوسي) مدة حكمـه عشر سنين أيضاً[5] .

---

١ المعارف (ص ٢٨٠) .
٢ حمزة (ص ٧٧) .
٣ البطليوسي (ص ٦) .
٤ حمزة (ص ٧٧) .
٥ البطليوسي (ص ٦) .

وجبلة هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو (جبلس) (Jabalac) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد[١] . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطليوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالا إنه حكم عشر سنين[٢] . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جبلة بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطا مارية »[٣].

وجاء بعد (جبلة) ابنه (الحارث بن جبلة) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) (اريتاس) (Aretas) (Arethas) الذي ذكره المؤرخ السرياني (ملالا) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم[٤] . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً[٥] . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد[٦] . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هذا عند أهل الأخبار بـ (الحارث الأعرج) وبـ(الحارث الأكبر) .

وذكر حمزة والبطليوسي وآخرون أن والدة الحارث هي (مارية ذات القرطين، بنت عمرو بن جفنة)[٧] . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها (مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) . واستدرك (محمد بن حبيب) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كندة »[٨] . وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وقد

---

١ غسان (ص ٨) ، Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
٢ حمزة (ص ٧٧) ، البطليوسي (ص ٦) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
٤ غسان (ص ٩) ، Malalas, (Melalas), 2, 166.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
٦ Provincia Arabia, III, S. 352.
٧ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٦) .
٨ المحبر (ص ٣٧٢) .

ضرب المثل بحسنها ، فقيل : « خذوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيها مئتا دينار[1] .

وذكر البطليوسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى (الحفير) ومصنعة بين (دعجان) وقصر أبير ومعان[2] . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة[3] . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدّر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد[4] .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبنية المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بنائه للقصر الأبيض في (الرحبة). ولقصر الطوبة[5] .

وجعل (ابن دريد) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والمنيذر وجبلة وأبا شمر ، ذكر انهم ملوك كلهم[6] .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية الغساني ، كان قد اجتبى أخوين من بني نهد اسمها حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جناب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له انهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلهما . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلّص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ما كان عليه[7]. وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا ان الحارث بن جبلة حاربت (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة (٥٢٨ م)[8] ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : (جنوفاس) (Jnophas) ،

---

١ المحبر (ص ٣٧٢) ، البرقوقي (ص ٣٠٩) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) ، Provincia Arabia, II, S. 8.
٣ البطليوسي (ص ٧) ، حمزة (ص ٧٨) .
٤ Provincia Arabia, II, S. 174.
٥ Provincia Arabia, II, S. 174.
٦ الاشتقاق (٢٥٩) .
٧ الاغاني (١١٨/٥ وما بعدها) .
٨ غسان (ص ١٠) . Melalas, 2, 166.

و (نعمان) (Naaman) . ويرى (نولدكه) ان (جنوفاس) هو (جفنة) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين[1] .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، الا انه وهم في اسمه فصيّره (خالد بن جبلة) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النعمان ناثرة ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى ، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى يخطيانوس[2] ، الا انه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر (يخطيانوس) عندئذ الى عقد صلح معه ، والى ارضائه .

ويرى (نولدكه) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخمد ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة (٥٢٩)[3] .

وقد ورد في تأريخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان المنذر ملك العرب (سركينوى) (Sarakynou) الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انبراطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Duxe) وسادات القباب من أرباب لقب (فيلارخ)(Phylarchus) المحالفين للروم عن صدّه والوقوف أمامه،رأى القيصر(يسطانوس)(Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليقف بوجه (المنذر) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشأم والعبث بها مدة طويلة من الزمن[4] . وقد ذهب (نولدكه) الى أن هذه الحوادث

---

١ غسان (ص ١٠) .
٢ الطبري (١٤٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٣ غسان (ص ١٠) ، O'Leary, P. 164, Malalas, 2, 180.
٤ Procopius, I, XVII, 43-48, J. B. Bury, II, P. 91.

كانت في سنة (٥٢٩ م)[١] .

وقد بلغ المنذر في هجومه على بلاد الشأم أسوار (انطاكية) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به[٢] . ويشك نولدكه في رواية بروكوبيوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم[٣] .

ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) ، فقد لقبت بـ (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارخوس) (Phylarcos) (Phylarque) (Phylarkos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب (ملك) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي[٤] . ولكن نولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لاثبات أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح اطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) (Patricius) ، ولقب (عامل) أو سيد قبيلة (فيلارخوس) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقروناً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة (فلارخوس المنذر) ، و (المنذر البطريق الفائق المديح) ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)[٥] .

ولقب (البطريق) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يحبذون الحصول على هذا اللقب من القيصر[٦] . وقد منح القيصر

---

١ غسان (ص ١١) .
٢ J. B. Bury, I, P. 81.
٣ غسان (ص ١٢) ، المشرق . السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .
٤ غسان (ص ١٢) .
٥ غسان (ص ١٢ وما بعدها) .
٦ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

(يسطنيانوس) (Justinianus) (الحارث) هذا اللقب ، وكذلك لقب (فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنح هذين اللقبين اللذين انتقلا منه الى أبنائه فيما بعد[1] .

ويلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة مـا ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولاً عنه الى مدينة مأرب ليهنئه بترميمه سد مأرب ، لم يدوّن كلمـة (ملك) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر (ورسل حرثم بن جبلت) ، أي : (ورسول الحارث بن جبلة)[2] . فلم يلقبه بلقب (ملك) ، ويدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقرراً دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥٤٢ م) .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملالا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة (٥٣١ م)، وانتهت باندحار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)[3] . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة (قائد) (Dux) [4] .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة (٥٤١ م) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمـل يذكر في هذه الحرب[5] . وهذا مما حمل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهـم وإلحاقه الأذى بهم واتفاقه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة (٥٤٤ م) ، وانتهى

---

١ Provincia Arabia, II, S. 174.

٢ راجع النص الموسوم Glaser 618.

٣ غسان Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8. Malalas, 2, 199.

٤ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 202.

٥ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18, Musil, Palmyrena, 266.

بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة (٥٥٤ م) ، على مقربة من (قنسرين) بالقرب من الحيار . وهذه المعركة هي معركة يوم حليمة على رأي تولدكه[١] . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشأم ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المنذر ، تنازعهما على ارض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشأم وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشأم . وقد ألف (جستنيان) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام على الفرس[٢] .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن (برحيرت) ، (Bar-Herath) أي (ابن الحارث) سقط قتيلاً في الحرب[٣] . وكان قد ذكر قبل كلمات ان المنذر بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله (الحارث بن جبلة) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قنسرين . ثم ذكر ان ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة[٤] .

ونجد في شعر (حسان بن ثابت) إشارة الى (زمين حليمة) أي زمن حليمة[٥] . كما نجد في الأمثال (ما يوم حليمة بسر)[٦] ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار (المنوفستيين) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال انه سعى لدى الانبراطورة (ثيودورة)

---

١ غسان (ص ٢٠) .
٢ J. B. Bury, II, P. 92.
٣ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.
٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.
٥ البرقوقي (ص ١٤٦) .
٦ كذلك (ص ١٤٦) .

في تعيين (يعقوب البرادعي) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة (٥٤٢ – ٥٤٣ م) ، وبذلك وطد هذا المذهب في بلاده[١] .

ونسب المؤرخ السرياني (ميخائيل الكبير) الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق (افرام) (٥٢٦ – ٥٤٥ م) في السريانية أو اليونانية في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة (٥٧٨ م) . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلّب بأدب ولطف على خصمه البطريق[٢] .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للانبراطورية عدّ الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوسطنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر[٣] ، الا ان الحارث سعى جهد امكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشأم[٤] .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية ، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر (يوسطينوس) (Justinius) بعد خرفه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه[٥] . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

---

١ François Nau, Les Arabes Chrestiens, PP. 52.

٢ المشرق ، المجلد ٣٤ (السنة ١٩٣٦) ، الجزء الاول (ص ٦١ وما بعدها) .

٣ E. Gibbon, Der Sieg, S. 66.

٤ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٦) .

٥ غسان (ص ٢٠) .
J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huart, I, 60, Les Arabes Chrestiens, PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة [1] .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثأر حسب رواية الأخباريين . واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرىء القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرىء القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرىء القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم [2] . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرىء القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر (الجمحي) أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) هو الذي طلب الى (السموأل بن عادياء) أن يدفع اليه سلاح (امرىء القيس) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه [3] . وقد ذكر (أبو زبيد الطائي) أنه زاره ونعته بأنه (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم) . وقد كان (أبو زبيد) هذا « من زوّار الملوك ، وللملوك العجم خاصة . وكان عالماً بسيرها » [4] .

وقد تعرّض (ابن قتيبة) لموضوع (امرى القيس) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة » [5] . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من اهل بيته يقال له (الحارث بن مالك) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

---

١ غسان (ص ٢٠) .
٢ الاغاني (٦/٣٣١ وما بعدها) .
٣ طبقات الشعراء (ص ٧٠) .
٤ طبقات الشعراء (ص ١٣٢) .
٥ الشعر والشعراء (ص ٥٠) .

الحارث ، وقـــال للسموأل : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلته ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئـــاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء»[1] .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج – وهو في روايتهم هـــذه الحارث بن أبي شمر الغساني – غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هـــذا الغزو مروره بجماعات منهـــا لم تهتم به كما كان يجب ان يكون . وقـــد نصحه الشاعر (عمرو بن كلثوم) – على حدّ قولهم – بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقُتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث[2] .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافـــة الكبرى لا الملك يوسنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ (بروكوبيوس) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له في هذه المدينة،على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقديس (سرجيوس) المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى في نفوس نصارى عرب الشأم[3] .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حربها،ووقع بينها يوم اليحاميم حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق[4] .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه (أبو كرب ابن جبلة) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص (أبرهة) ، حيث كان (أبو كرب) قد أرسل اليه رسولاً لتهنئته بترميمه سد مأرب . والأمـــير (قيس) (Kaisus) وكان عاملاً على (فلسطين الثالثة) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث[5] .

---

١ الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (طبعة ليدن) .
٢ ابن الاثير (٢٢٢/١) .
٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, S. 167.
٤ أيام العرب (٦٠) .
٥ غسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

وعثر في احدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى (شرحيل بن ظالم) يرى نولدكه انه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كنـــدة ويرجع تأريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة (٥٦٨ م) . وقد دُوّنت عند تدشين هذا العامل بناءً اقامه للقديس يوحنـا المعمدان ، فيكون (شراحيل) شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة[١] . ويستنتج نولدكـــه من ذلك ان عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتى بعد تألق نجم آل غسان. ويرى ان ذلك ممـــا يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة امراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض[٢] .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبـــوه بـ (Talemus) وكان يحكم (اللجاة) ، فيظهر من ذلك ان إمارات كانت تنافس امارة الغساسنة في هذا العهد[٣] .

وقد توفي الحـــارث في سنة (٥٦٩ م) او (٥٧٠ م) على رأي نولدكه ، استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها الى سنتي (٥٦٨ و ٥٦٩) ، والى ربيع سنة (٥٧٠ م) حيث حل اسم ابنه المنـذر في محلّه ، فاستدل من هذا التغيير على أنه توفي في هذا الزمن[٤] .

وقد حكم (المنذر) من سنة (٥٦٩ — ٥٧٠ م) حتى سنة (٥٨١ م) ، على تقدير بعض الباحثين[٥] .

وقد عرف المنذر بـ (Alamundaros) (Alamoundaros) عند اليونان والسريان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر ان عرب الحـــيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م[٦].

---

١ غسان (ص ١٧) ،
Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 563, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان (ص ١٦) ، النص الالماني (ص ١٦) .

٣ Provincia Arabia, III, S. 268, Waddington 2464, Nöldeke, S. 13, Anm : 2.

٤ غسان (ص ٢٥) .

٥ Die Araber, I, S. 10.

٦ غسان (ص ٢٥) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركـة أخرى فيما بعد[1] . ويرى نولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ[2] .

والمنـذر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في احدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما : يعقوب البرادعي وصاحبه[3] .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر (يسطينوس) (Justinus) وبين المنذر تطوّر حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القصر قد دبّر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) (Marcianus) بأن يحتال عليه ليقتله ، تمرّد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وايقاع الرعب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم عـلى مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجوّ أرسلوا اليه البطريق (يوسطنيانوس) ليجتمع به في مدينة الرصافـة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله. وعند القبر المقدّس عقد الصلح بينهما في صيف سنة (٥٧٨ م) . فعـاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام[4] .

وقد أشار ابن العبري الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب (طيايـة) كانوا منقسمين الى جماعتين : جماعة المنذر بن الحارث (منذر برحيرت) (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهـاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغساسنة ، واستاق ما وجده أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمـع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بغنائم عديـدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المنذر ، غير أنه مُني بهزيمة ثانية اضطرته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتله ، لظنـه

---

١ J. of Ephesus, 6, 3.

٢ غسان (ص ٢٧ وما بعدها) ، Provincia Arabia, III, S. 355.

٣ غسان (ص ٢٧) Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان (ص ٢٦) J. of Ephesus, 6, 3-46, Provincia Arabia, II, S. 174.

أنه كان السبب في غزو الفرس لـ (Rhomaye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة (نصيبين) (Nisibis) أن يتربص بالمنذر فيقبض عليه، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة، فأرسل الرسالة الخاصة بالبطريق مرقيانوس الى المنذر، وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى البطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف مما أراد القيصر أن يفعله به، غضب غضباً شديداً، وتصالح مع قابوس، وصارا يهاجمان بلاد الشأم. فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خانه، وانه أخبر المنذر بالمؤامرة، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ولما صار (طيباريوس) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدّره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطاف سنيّة ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق[1] .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر (طيباريوس) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشأم من قبل الا (الاكليل) ، ودرجته دون درجة (التاج)[2] . وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وفضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما أنعم على ولديه بدرجات عسكرية[3] .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب (الطبيعة الواحدة) والمدافعين عنه، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة (٥٨٠ م) لمعاضدة هذا المذهب والدفاع عنه، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطاركة رغبتهم في ذلك وعدم ممانعتهم فيه[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 80, 82.

٢ غسان (ص ٢٦) J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271.

٣ J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

٤ غسان (ص ٢٧) ، المشرق ، السنة ٣٤ حـ ١ (ص ٦٤) ، السنة ١٩٣٦ ، J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريـــج لايصال المـــاء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذي المكانة العظيمة عند عرب الشأم . وظهر من كتابة عثر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدّد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي[1] .

ولم تمنع قدسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غـــزو المدينة[2] ، وهدّم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولحمايتها من الهجمات أحاطها القيصر (يوسطنيانوس) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم[3] .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بنـاء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا اليـــه أحسن المعمارين والبنّائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم(البرج). وقد عثر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء[5] .

ولما حاول الروم غزو حدود الفرس في سنـــة (٥٨٠ م) ، وجدوا الجسر المنصوب على نهر الفرات مهدّماً ، فاضطروا الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع الفرس ، وانه هو الذي أوعز بهدم الجسر ، ليكتب للحملة الاخفاق ، وقرروا القبض عليه والايقاع به ، انتقاماً منه للخيبة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً اياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم ، ورغبته في الخروج على طاعتهم،فقرروا الانتقام منه بقتله،فأصدروا الى حاكم بلاد الشأم (ماكنوس) (Magnus) صديق

---

١ Kirchengeschichte., V, S. 315, H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrestiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264, 323.

٢ ديوان الاخطل (ص ٣٠٩) ، (طبعة الصالحاني) ، Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

٣ Musil, Palmyrena, P. 264, Rusafah, P. 12.

٤ Provincia Arabia, II, P. 175.

٥ Wetzstein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنذر أمراً سرياً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بنـاء كنيسة في (حوارين) ، وقد عزم (ماكنوس) على تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الاقامة فيها مع احدى نسائه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان يكرهه ويعاديه ، أمر بنفيها الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام[١] .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين، ونسب اليه بناء (حربا) وموضع (زرقا) على مقربة من الغدير[٢] . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك المدة ، فقد حكم على رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد[٣] .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد (ماكنوس) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعدّ ليتولى مقام أخيه ، غير انه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلتـه ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه[٤] .

وكان موضع (حوارين) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال (ماكنوس) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين،ثم عادوا بغنائم كثيرة الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم[٥] .

---

١ غسان (ص ٣٠ وما بعدها) .
Evagrius, 6, 2, Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82, J. J. of Ephesus, Eccl. His., III, PP. 40, 42, 54, Provincia Arabia, II, P. 175.

٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

٣ Provincia Arabia, II, S. 174.

٤ غسان (ص ٢٢ وما بعدها) . Evagrius, 6-2.

٥ Musil, Palmyrena, P. 38.

وذكر ابن العبري ان النعمان لما بلغته رسالة القائد ماكنوس لم يذهب اليـــه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سألـــه : أأنت النعمان ؟ فقال لـه : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدوّ الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين للقائد أنـــه لم يكن النعمان ، هَمَّ بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير[1] .

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتذر اليه،وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه (موريقيوس) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية (طياية) هي على المذهب الحنيف (الأرثدوكس) (Orthodox) ، وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفـــل راجعاً ، قبض عليه ونفي[2] .

لقد تصدّع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم،وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو (٥٨٤ م) على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العبري الى انهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكـر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث[3]،وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائـل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين عـــلى التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائـل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة[4] .

---

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82.
٢ Bar Hebraeus, I, P. 82.
٣ غسان (ص ٣٣ ، ٣٥) .
٤ Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143.

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر حمزة ان الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة سنة وستة أشهر[1] .

وزاد في رَبْك وضع الغساسنة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد الشأم سنة (٦١٣ — ٦١٤ م) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشأم ، وصار عرب بلاد الشأم أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الغساسنة ومنافسيهم .

وقد تمكن الغساسنة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة (٦٢٩ م) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا عليها ومن إجلائهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار أبت ان تبقيهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشأم ، فأكرهتهم على فتح أبوابها للإسلام ، فتساقطت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الخريف . وصارت دمشق درة بلاد الشأم من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الغساسنة ، فقد ولى ، ولم يبق للغسانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خمد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان ، فَعُدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ، حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم وتنازعهم بينهم. أما الموارد الاسلامية ، فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى ايام الفتح الاسلامي . ومن هذه الموارد تأريخ حمزة الاصفهاني ، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان حتى انتهى بآخرهم وهو جبلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ، لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من المؤرخين .

وأنا لا استطيع أن اوافق حمزة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

---

١ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

وفي ترتيبهم على النحو المدوّن في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً،وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تمسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخـاصمهم ، ولهذا كثرت أسماؤهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مدّ حكمهم وانكمش فاقتصر على البوادي، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكناهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمزة ان أبين رجل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ (الأصغر) ثم (عمرو بن الحارث) ، وهو الذي مدحه (النابغة) ، ثم (النعمان بن الحارث) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للنابغة الذبياني ، ثم (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، و (جبلة بن الأيهم) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فاننا نجاريه في ترتيبه لهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين (المنذر بن الحارث) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقّبه بلقب (الأصغر) وكنّاه بـ (أبـي شمر)[1] .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ (حارب) ونسب اليه بناء (قصر حارب) و (محارب) و (صنيعة) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب اليه بناء (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف)[3] .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحـد

---

١ حمزة (ص ٧٨) ، المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .
٣ حمزة (ص ٨٧) .

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل السدير ، وبنى قصر (الفضا) (قصر الفضة) و (صفاة العجلات) و (قصر منار)[1] .

وعمرو هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني،وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة أنشأ في دمشق وضواحيها – على حد قول أهل الأخبار – عدة قصور شامخات ، منها : قصر الفضة ، وقصر (صفات العجلات) ، وقصر منار . وقد صوّر في بعض هـذه القصور مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته ، وأشكـال صورته . ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة[2] .

ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مـدح عمرو بن الحارث ، قصيدته الباثية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وقد أوغل فيها في مدح الغساسنة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عيون شعره . وقد قال هـذا الشعر حينما اختلف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي وصف به زوجـة النعمان (المتجردة) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا بـه الى النعمان ، فهرب منه ، وانحاز الى خصومه آل غسان . ولجأ الى زعيمهم في تلك الأيام ، وهو (عمرو بن الحارث)[3] .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (عمرو بن الحارث بن أبـي شمر الغساني) ، في جملتها أبيات يعتذر النابغة فيها اليه من وشاية أثارت حنق عمرو عليه ، فنظمها في استرضائه، وقد ذكر فيها انه اكرمه وحباه بمئة من الابل ، وانه يريش قومـاً ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم[4] .

ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل بروضته نعمى فذات الأجاول

---

١ حمزة (ص ٨٧) .
٢ البطليوسي (ص ٧) .
٣ ديوان النابغة الذبياني (ص ٩ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٢٩) .
٤ ديوان النابغة (ص ٤٦) (بيروت ١٩٢٩) .

خبر غزو قام بـــه (عمرو بن الحارث) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها عـلى ما يظهر من هذه القصيدة[1] .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعـــد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد. وذكر أنه كان سيّارة جوّاباً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة[2] .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما[3] .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً،وانما كان غازياً يغزو بها بالجيوش،وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء (السويدا) و (قصر حارب)[4] .

وذكر حمزة ان (عمرو) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر انه ، أي النابغة (ذكر أباه المنذر بقوله)[5] :

وقصر بصيداء التي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه الى أن الشخص الممدوح هو (النعمان بن عمرو) ، فان رواة هذا الشعر يذكرون ان الملك الممدوح الذي قصده النابغة بمديحه ، هو (عمر بن الحارث بن أبي شمر) المتقدم ذكره ، وهو شقيق (النعمان بن الحارث ابن أبي شمر) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به[6].

---

١ ديوان النابغة (ص ٨٥) (بيروت ١٩٢٩ م) .
٢ حمزة (ص ٧٨) .
٣ حمزة (ص ٧٩) .
٤ حمزة (ص ٧٩) .
٥ حمزة (ص ٧٩) .
٦ ديوان النابغة (ص ٩ وما بعدها) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنـــه جبلة وزعم ان منزله بـ (صفّين) ، وانه صاحب (عين أباغ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة [1] .

ثم ملك – بعد جبلة – النعمان بن الأيهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعـده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لخم خربها ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة [2] .

ويرى (الويس موسل) ان النعمان هذا كان قـد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦ م) ، وانه قد احتمى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لخزن الماء [3] .

وذكر حمزة اسم (المنذر بن النعمان) بعد النعمان بن الحارث ، وهـو ابنه . قال : ولم يحدث شي في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة [4] .

ثم صار الحكم من بعده – على رأي حمزة – الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر [5].

ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعـل حمزة ملكه اثنتي عشرة سنة . ثم صيّر الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة [6] .

وصيّر حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر). وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً [7] .

ثم صيّر حمزة الحكم الى (الحارث بن جبلة) ، وهو على رأيـــه ابن الملك المتوفى (جبلـــة بن الحارث) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً بـ (الحارث بن أبـي شمر) ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

---

١ حمزة (ص ٧٩) .
٢ حمزة (ص ٧٩) .
٣ Musil, Palmyrena, P. 267.
٤ حمزة (ص ٧٩) .
٥ حمزة (ص ٧٩) .
٦ حمزة (ص ٧٩ وما بعدها) .
٧ حمزة (ص ٨٠) .

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[1] . ويجب أن يكون هذا الحارث هو (الحارث ابن أبـي شمر الغساني) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً اليـه ، حمله اليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد (الحارث بن جبلة) ، هو ابنه (النعمان بن الحارث) ، وكنيته (أبو كرب) ، ولقبه (قطام) ، وهو الذي بنى مـا أشرف على (الغور الأقصى) . وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثـة أشهر[2] .

وقد أخطأ حمزة في إضافة لقب (قطام) الى النعمان بن الحارث ، ولا نعرف ان أحداً اضاف هذا اللقب اليه .

ونجد للنابغة الذبياني أشعاراً في مدح (النعمان) المذكور ،وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومـه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعرابهم . وكان قومه (بنو ذبيان) وحلفاؤهم (بنو أسد) الى جانب عرب الحيرة ، وكانوا ينقمون عـلى الغساسنة ويغيرون دوماً على أرضهم ، فيتدخل النابغة لـدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل اليهم في فك أسرهم . ولما أغار قومه على وادي (ذي اقر) ، نهاهم النابغـة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهوّلهم بكثرة مـا لدى (النعمان بن الحارث) ، من جموع وحشود ، غير انهم لم يهتموا بنصح النابغة ، ولم يحفلوا بتخويفه لهم ، بل عدّوا نصيحته هذه لهم من امارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب (النعمان) بقيادة (النعمان بن الجلاح الكلبي) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن (ابن الجلاح) سبى ستين أسيراً وأهداهم الى قيصر الروم[3] . ولم يتطرقوا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة الى اهـداء هؤلاء الأسرى الى الروم . وأعتقد ان اقحام (قيصر الروم) في هذا الاهداء ، هـو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هـذه المبالغات . إلاّ أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم (ابن الجلاح) الذي تعقبهم ، من وقع في أسره الى حاكم من حكّام الروم لتأديبهم .

---

١ حمزة (ص ٨٠) .
٢ حمزة (ص ٨٠) .
٣ ديوان النابغة (ص ٥٤) (بيروت ١٩٢٩ م) .

وقد طلب (النابغة) في شعره في وصف هذه الغارة من (حصن بن حذيفة) سيد (ذبيان) ومن (ابن سيّار) فك من وقع أسراً من النساء دفعاً للخزي والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي العضاريط من الأتباع والأجراء .

ونجد النابغة يحذّر (النعمان) من غزو (بني حُن بن حرام) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعاب . فلما أبى إلا قتالهم، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمدوا بني حُن ، ففعلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حُن وبنو ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حُنٍ ببرقة صادر
تجنب بني حُنٍ فان لقاءهم كريه، وإن لم تلق إلا بصابر

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويفه اياه من عاقبة هذه الغارة [1] .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حُن بن حرام ، وهم من عذرة ، انهم كانوا قد منعوا (وادي القرى) عن عدوهم ومن أهله وحموه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمنّعوا بثمره ، وطردوا (بَليّاً) ، وهم من (بني القين) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفوهم الى غير بلادهم، وهم الذين ضربوا أنف الفزارى ، وهم الذين منعوها من قضاعة كلها ومن (مُضرّ الحمراء) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به (أبا جابر الجلاّس ابن وهب بن قيس بن عبيد) ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون [2] .

ويظهر من شعر للنابغة ان (النعمان) كان قد غزا تميماً وقيس وائل ، وانه أوجعهم ، وقد غزاهم في الربيع [3] .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (النعمان) هذا ، منها أبيات استهلها بقوله :

---

١ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) (بيروت ١٩٢٩ م) .
٢ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) .
٣ ديوان النابغة (ص ٨٢) .

واللهِ واللهِ لنعم الفتى إذ أعرجُ، لا النكسُ ولا الخامل[1]

وقد أدرك النابغة أجل (النعمان بن الحارث بن أبي شمر) ، اذ مات مقتولاً فرثاه بقصيدة ، يظهر منها انه كان يكنى بـ(أبي حجر) ، وانه قبر في موضع يقع بين (بصرى) و (جاسم)[2] .

وقد غزا (النعمان) العراق ، ولا يستبعد (نولدكه) أن يكون هو الذي قصده المؤرخ (ثيوفلكتوس) حين تحدث عن غزوٍ قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة (٦٠٠ م)[3] .

وقد مدح النابغةُ (النعمان بن الحارث الأصغر) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اننا نستطيعها[4]

ورثى (النابغة) النعمان في قصيدة جاء فيها ان شيبان وذهلاً وقيس بني ثعلبة وتميماً سُرّوا بوفاته ، لأنهم أمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم[5]. ويظهر من شعر النابغة فيه انه كان محارباً يغزو القبائل ، ولذلك هابته . وقد بكاه بقوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه وجوران منه خاشع متفائل[6]

وذكر (ابن قتيبة) ان النابغة لما صار الى غسان ، انقطع الى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني) والى أخيه (النعمان بن الحارث) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه ان الذي قُذف به عنده باطل ، فبعث اليه من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زبّان بن سيّار ومنظور بن سيار الفزاريين ، وقبل عذره ورحب به[7] .

---

١ ديوان النابغة (ص ٩٠) .
٢ ديوان النابغة (ص ٨٤) .
٣ غسان (ص ٤٢) ، Theophylactus, Historiae, 8, I.
٤ البطليوسي (ص ٥٧) .
٥ البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .
٦ حمزة (ص ٨٠)
٧ الشعر والشعراء (ص ٧٧) (النابغة الذبياني) .

ثم ملك بعده – على رأي حمزة – الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب (تدمر) و (قصر بركة) و (ذات أنمسار) وغير ذلك[1] .

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة[2] .

ثم صار الملك الى شقيقه (شراحيل بن جبلة) على رواية حمزة . وكان ملكه خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر[3] .

ثم انتقل الحكم الى (عمرو بن جبلة) بعد وفاة (شراحيل) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين[4] .

ثم حوّل حمزة الحكم الى (جبلة بن الحارث) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة). وهو على رأيه ابن أخيه . وجعل حكمه أربع سنين[5] .

ثم صيّر حمزة الملك الى (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية)، وهو على رأيه آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم ثم تنصر ، ولجأ الى الروم[6] . وقد سرد المسعودي نسبه على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة)[7]،وسرده على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن) في مكان آخر[8] .

وذكره (ابن عبد ربه) على هذه الصورة: (جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني)[9] . وذكر (الذهبي) أن الأصل هو (الأهيم) ، لا (الأيهم) ، وكنّاه بـ (أبي المنذر) ، وقال إنه كان ينزل (الجولان)[10] .

---

١ حمزة (ص ٨٠)
٢ حمزة (ص ٨٠)
٣ حمزة (ص ٨٠)
٤ حمزة (ص ٨٠) .
٥ حمزة (ص ٨١) .
٦ حمزة (ص ٨١) ، المحبر (ص ٣٧٢) ، لسان العرب (٩٦/١١) .
٧ التنبيه (ص ١٥٨) .
٨ مروج (١٠٨/٢) ، (٣٠/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٩ العقد الفريد (١٨٧/١ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) .
١٠ تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) (نسخة دار الكتب المصرية) .

وقد وُصِف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض[1] .

وقد ورد اسم (جبلة بن الأيهم) في أخبار الفتوحات الاسلامية لبلاد الشأم، إذ ذكر في (فتوح البلدان) للبلاذري : أن (هرقل) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم (يوم اليرموك) ، بعث على مقدمته (جبلة بن الأيهم الغساني) في مستعربة الشأم من لخم وجذام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن (جبلة) انحاز في القتال الى الأنصار قائلاً : « أنتم إخوتنا وبنو أبينا ، وأظهر الإسلام »[2] . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار الى (مرج الصفر) ، لقي عليه غسان ، وعليهم (الحارث بن الأيهم)[3] . ولم يشر الى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقع للرواة ، فصار (جبلة) عند بعض ، وصار (الحارث) عند بعض آخر ، ولعل مرده الى سهو وقع من النساخ .

ولحسّان بن ثابت شعر في مدح (جبلة بن الأيهم) ، وفي ذكر ملكه وملك (آل جفنة) ، يظهر منه شدة تعلقه بهم على بعده عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالاسلام[4] . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها (جبلة ابن الأيهم) منها :

أشهرنهـا فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل يماني[5]

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار (جبلة ابن الأيهم) ، وعنده (النابغة) و (علقمة بن عبدة) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثمئة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد ، في كل عام مثلها . وتذكر رواية أخرى ان الشخص الذي زاره (حسان) هو (عمرو بن الحارث الأعرج) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنانير[6].

---

١ المعارف (ص ٢٨١) .
٢ فتوح البلدان (١٤١ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٠١ م) .
٣ الطبري (٢/٤١٠) (دار المعارف بمصر) .
٤ مروج (٢/١٣) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البرقوقي (٤١٤ وما بعدها) .
٥ مروج (٢/٣١) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٦ الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) .

وذُكر ان (جبلة بن الأيهم) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حساناً قد صار مضرور البصر كبير السن ، أرسل اليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية اليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر ... لم يغـذهم آباؤهم باللـؤم
لم ينسني بالشأم إذ هو ربُّها ... كـلاّ ولا متنصراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل غسان[1].

وقد اتفقت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جبلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب ردته الى ان أعرابياً من فزارة وطىء فضل إزار جبلة وهو يسحبـه في الأرض بمكة ، فلطمه جبلة ، فنابذه الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعدّ جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففرّ الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتداً حتى وافته منيته[2] . ولكن رواية (ابن قتيبة) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام، اذ جعلته مدينة (دمشق) ، قالت : « وكان سبب تنصره انـه مرّ في سوق دمشق ، فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه ، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة ان هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر اللهُ بالقصاص ، فهي لطمة بلطمة . فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر »[3] .

ونجد خبر (ابن قتيبة) المذكور مدوناً في كتاب (الطبقات) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وكتب باسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب،

---

١ البرقوقي (ص ٣٩١ وما بعدها) .
٢ مروج (٢/٣١ وما بعدها) (طبعـة محمد محيي الدين عبد الحميد) ابـن خلدون (٢/٥٨٦) ، تأريخ الخميس (٢/٦١) ، الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) .
٣ المعارف (ص ٢٨١) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فلطمه، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة،قال : فليلطمه، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر الله، تبارك وتعالى بالقود. قال جبلة : أو ترون اني جاعل وجهي نداً لوجه جدي جاء من عمق ! بئس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشق عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام اليه عمر بالدرة فضربه بها »[1] .

وذكر بعض أهل السيَر والأخبار ، ان الرسول كتب الى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه[2] . وذُكر أن (شجاع بن وهب) انما بعثه رسول الله الى جبلة ، فأسلم[3] ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجولان[4] .

وتزعم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة (عمر) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه. وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الاكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : انه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة[5] . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسمئة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه[6] .

وقد ذكر (البلاذري) أن (جبلة بن الأيهم) حكم بعد (الحارث بن أبي شمر) . وروى أنه لما قدم (عمر) الشأم سنة (١٧) للهجرة ، حدث أن لطم

---

١ طبقات (١/٢٦٥) .
٢ تأريخ الخميس (٢/٦١) .
٣ ابن خلدون (٢/٢٨١) .
٤ تأريخ الاسلام ، للذهبي (٢/٢١٤) ، (نسخة دار الكتب المصرية) .
٥ ابن خلدون (٢/٢٨١) .
٦ العقد الفريد (١/١٨٧ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(جبلة) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالاقتصاص منه ، فقال : أو عينه مثل عيني ! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم[1] .

وتذكر رواية أن (جبلة بن الأيهم) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة[2] .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبينه وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قط والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فانها قريبة من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعده على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وانما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشأم معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد. وما هذا الذي روي عن اسلامه وعن زيارته ليثرب ولمكة إلا من قصص القصاص وضعوه فيما بعد .

إنّ ما يذكره أهل الأخبار من ملك (جبلة) ، لا يخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال (هرقل) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشأم منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكروه من احتفال الروم في القسطنطينية ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

---

١ فتوح البلدان (ص ١٤٢ وما بعدها) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٨١) .

الى حين وفاته[1] . بل لقد شك بعض المستشرقين مثل (نولدكه) حتى في موضوع تملكه وتولية الحكم له على عرب الشأم[2] .

ونجد في خبر فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد تزعم قومه وجاء في (طواف من غسان وتنوخ) لنجدة أهل (دومة الجندل) . وقد دعاه (الطبري) ، (ابن الأيهم) . ولم يشر الى اسمه[3] .

ونجد في (العقد الفريد) وصفاً لمجلس (جبلة) ولمسكنه في القسطنطينية لا يخلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قد أرسله الى (هرقل) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الموفد أن (هرقلاً) هو الذي أشار عليه بزيارة قصر (جبلة) فلما ذهب اليه ، وجد على بابه من القهارمة والحجّاب وكثرة الجمع مثل الذي على باب (هرقل) ، ثم وصف مجلسه وأرائكه المرصعة بالجواهر ، وغناء الجواري في مجلسه بغناء حسان بن ثابت مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك الفارين[4] .

واسم الرسول المذكور هو (جثامة بن مساحق الكناني)[5] . ويذكر بعض أهل الأخبار أن الخليفة معاوية أرسل (عبدالله بن مسعود الفزاري) الى ملك الروم فوجد عنده (جبلة بن الأيهم)،فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملبس والمأكل والمسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوّ في الكلام ، على نمط ما رأيناه في وصف (جثامة)[6] . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرواة قد أخطأوا في هذا الخبر ، فنسبوه مرة الى رسول عمر،ونسبوه مرة أخرى الى رسول معاوية.

ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكاً ، ملكوا ستمائة وست عشرة سنة[7] . أما (المسعودي) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً[8] .

---

١ العقد الفريد (١/١٨٨ وما بعدها) .
٢ غسان (ص ٤٥) من النص الالماني ، Provincia Arabia II, S. 174.
٤ الطبري (٣/٣٧٨) (خبر دومة الجندل) .
٣ راجع الوصف في العقد الفريد (١/١٨٨ وما بعدها) .
٥ الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) .
٦ الاغاني (١٤/٢ وما بعدها) ، البرقوقي (٢٣٤ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، الشعر (٢٢٣) .
٧ حمزة (ص ٨١) .
٨ مروج (٢/٣٢) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) ، ابن خلدون (٢/٢٨١)

وقد رتّب المسعودي أسماء الملوك على هذا النحو : (الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم (النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) ، ثم (المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة) ، ثم (عوف بن أبي شمر) ، ثم (الحارث بن أبي شمر) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم[1] .

والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الغساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وستمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة لملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة (ابن قتيبة الدينوري) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة (حمزة) وعن قائمة (المسعودي) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل (الحارث بن عمرو) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان، وهو شقيق الحارث الأصغر .

وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال ان فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من يغر الدهر أو يأمنه من قتيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى جانبي أيلة من عبد وحر[2]

وقال (ابن قتيبة الدينوري) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث، الذي كان النابغة صار اليه حين فارق النعمان بن المنذر، وفيه يقول النابغة :

---

١ مروج (٢/٣٠) (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) ، (٢/٨٣ وما بعدها)، (طبعة دار الاندلس) .

٢ المعارف (ص ٢٨١) .

عليّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة لوالده ليست بذات العقارب

قال: وكان يقال لعمرو أبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنذر بن الحارث ، والأيهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان[1] .

وقد ذكر في كتب السيَر والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول اليه شجاع بن وهب ليطلب اليه الدخول في الاسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشأم ، وكان له قصر منيف وحجّاب[2] . وذكر الطبري أنه كان (صاحب دمشق)[3] . وقد أدخله (محمد بن حبيب) في جملة (العرجان الأشراف)[4] . وقد عرف بـ (الحارث الأصغر) في شعر لحسان بن ثابت[5] .

وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو (الحارث) معاصر (جبلة بن الأيهم) الذي أشار حسان اليه .

وقد كان (حسان بن ثابت) زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة، لقد نبئت أنك تفضل النعمان عليّ فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على النعمان حتى سرّ الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله نثراً فيه في أبيات زادت من سروره ، وحصل على جوائزه وعطاياه[6] .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يفد على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة في أهله . فقال : « لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإنّ له قرابة ورحماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يئس مني أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي الى جبلة » . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم على الحارث ، وقد هيأ له مديحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : « إن الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

---

١ المعارف (ص ٢٨١) .
٢ السيرة الحلبية (٢٥٥/٣) ، (طبعة مصر) ابن خلدون (٣٦/٢) .
٣ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
٤ المحبر (ص ٣٠٤) .
٥ البرقوقي (ص ١٨٢) .
٦ البرقوقي (ص ١٨١ وما بعدها) ، مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

فانما يريد أن يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره » . ثم نصحه بنصائح أخرى تنم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته عنده وصار يدعوه،ثم حباه وأعطاه خمسمئة دينار وكسيّ وألطافاً وعاد الى أهله[1].

ولو صح هذا الخبر ، فانه يدل على ان أمر الغساسنة في هذا الوقت لم يكن واحداً ، وان حكمهم كان قد تبدد وتشتت . وان جبلة بن جبلة كان يحكم على جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بحلية الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً آخرين كانوا ينازعونهما الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب (ملك) ، اللقب الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو (شيخ) عشيرة في اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا انه كان قائداً من قواد (الحارث بن أبي شمر) ، ودعوه بـ (النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي) ، وذكروا أنه أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبى سبياً من غطفان . وأخذ (عقرب) بنت النابغة الذبياني . فلما سألها ، فانتسبت الى أبيها ، منّ عليها ثم أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة[2] . وسبق أن تحدثت عن (النعمان بن الجلاح الكلبي) في أثناء كلامي على الملك (النعمان بن الحارث) حين أغار قوم النابغة على أعراب (النعمان بن الحارث) بوادي أقر،وكان النابغة قد نهى قومه وحذرهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه،فأوقع بهم (ابن الجلاح) خسائر فادحة .

وفي ديوإن حسان قصيدة ، مطلعها :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لو كان للحارث الجَفْني أصحاب

يذكر شُرّاحها أنه نظمها في رثاء (الحارث الجفني) ، وقالوا إن الحارث

---

١ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) .
٢ الاشتقاق (٣١٦/٢) ، ديوان النابغة (ص ٣٢ ، ٤٠) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى بل يظهر من أبياتها أن العدوّ أوقع به فقتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن من معه لم يكونوا من (جذم غسان) وإنما كانوا من (مأشبة الناس) اي جماعة أوشاب الناس وأوباشهم أي الأخلاط التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء لا تكرثهم الهزيمة ، ولا يبـالون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا عجب ان أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس[1] .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبي شمر ، كان قد توفي قبل (جبلة بن الأيهم) . وذلك لرثاء حسان له ولاجماع أهـل الأخبار على ان جبلة عاش أمداً بعد ظهور الاسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيـداً عن بلاد الشأم وعن أرض آبائه وأجـداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول أرسل شجاعاً بن وهب الى رجل من غسان اسمه (المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني) . يدعوه الى الإسلام[2] . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور .

وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه (عدياً) ، وقالوا إنه ابن اخت الحارث بن أبي شمر الغساني ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقيته (بنو سعد ابن ثعلبة بن دودان) بالفرات ، ورئيسهم (ربيعة بن حذار الأسدي) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً[3] . وقد سمي (محمد بن حبيب) هـذا اليوم الذي وقع فيه القتال (يوم الفرات)[4] .

وأشار الواقدي الى ملك غساني اسمه (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، وذكر أنه قتل رسولَ رسولِ الله الى ملك بصرى في مؤتة[5] . ويشك (نولدكه) في نسبة هذا الأمير الى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه (سدوس) و (بر) ، ونسبه في هذا الموضع الى الأزد . ثم انه لم يكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم[6] .

---

١ البرقوقي (ص ٢٩) .
٢ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
٣ الاغاني (١٩٩/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) .
٤ المحبر (ص ٢٤٧) .
٥ الواقدي (ص ٣٠٩) ، (طبعة ولهوزن) ، السيرة الحلبية (٦٦/٣) .
٦ غسان (ص ٤٨) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك (غسان) قالوا له (قرص)، لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن (عدي) قالوا : انه ابن (أخي قرص الغساني) ، وكان (عدي) هذا قد غزا (بني أسد) فقتلوه،وأوردوا في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عديّ رماح بني مقيـدة الحمار
ولكـني خشيت على عديّ رماح الجن أوايّاك حار[1]

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص)، هو (عدي) المتقدم ولا شك .

وقد وفد (حسان بن ثابت) على (عمرو بن الحارث) ، فاعتاص الوصول اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلاّ هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده (النابغة) وهو جالس عن يمينه ، و (علقمه بن عبدة) وهو جالس عن يساره ، فقال له (عمرو) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ، فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هـذين السبُّعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي » ثم تلا عليه شعراً مما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا ان يقول شعراً فيـه ، وطلب من الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال فيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل[2]

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي (جابية الجولان) ، و (البُضيع) أو (البصيع) ، وهو جبل قصير أسود على تل بأرض البلسة فيما بين (سيل) و (ذات الصنمين) و (حومل) و (مرج الصفرين) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و (جاسم) ، وهي قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

---

١ ديوان حسان ، (ص ٢١٩) ، (البرقوقي) ، (ص ٧٩) (هرشفلد) .
٢ ديوان حسان (ص ٣٠٥) ، (البرقوقي) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها خربت، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح[1] .

ثم تطرق الى ذكر من كان يناديهم بـ (جلق) ، وهو موضع قيل انه بقرب دمشق ، وقيل انه (دمشق) : كيف كانوا كرماء أجواداً يجودون على من يفد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الحلل القشيبة المضاعف نسجها ، ويجيرون من يستجير بقبر أبيهم (ابن مارية الكريم المفضل)، فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلابهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنست بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من (البريص) ، ومن (بردا) ، وهما نهران بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكر (قصر دومة) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق متنطف،أي مُقَرّط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه[2] .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسنة ، ويظهر أن سلطان البيزنطيين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر ببساتينه وبكثرة أشجار الزيتون به، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعر أبي نواس[3] . وكان الغساسنة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار[4] .

وقد ترك الروم ساقتهم بـ (ثنية جلق) ، وعليها صاحب الساقة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسنة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان[5] .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونَفَسها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر،

---

١ ديوان حسان (ص ٣٠٧) ، (البرقوقي) ، (ص ٣٢) ، (هرشفلد) .
٢ البرقوقي (ص ٣٠٨ وما بعدها) .
٣ اللسان ، مادة (جلق) ، البلدان ، (جلق) .
٤ الموسوعه الاسلامية (٨٦/٧) ، الاغاني (٢/١٤) اللسان (٣٦/١٠) .
٥ الطبري (٣٩٢/٣) .

ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الغساسنة) ، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتله كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حملت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها[1] . ويظهر من سياق الشعر الذي رثي به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أفول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعلّه كان قد قتله بعد احتلال الفرس لبلاد الشأم. فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المناوئين لهم ، ولذلك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار (أبو الفرج الأصبهاني) الى أمير غساني سمّاه : (يزيد بن عمرو الغساني) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم[2] . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث الى (النعمان الغساني) ، على حين تنسبه روايات ثالثة الى آل لخم ويرجح نولدكه الرأي الأخير[3] .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ (سلامة بن روح بن زنباع الجذامي) ، وكان يلي العشور للروم . ولا بد أن يكون ذلك في أيام الغساسنة المتأخرين . وقد شبهه بـ (دمية في لوح باب) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معلقاً على لوح باب[4] .

ومن الأماكن التي وردت في شعر (حسان بن ثابت) على أنها من مواضع الغساسنة (الجواء) و (عذراء) ، وهما موضعان بالشأم بأكتاف دمشق . والى (عذراء) هذه يضاف (مرج عذراء) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرها (حصان) في شعره[5] . وذكر كذلك (بطن جلّق) و (البلقاء) ، و (المجبس) و (السند) و (بُصْرى) و (جبل الثلج)[6].

أما ما يفهم من شعر (حسان) وغير حسان من شمول ملك الغساسنة مدينة

---

١ البرقوقي (ص ٣٨٧ وما بعدها) .
٢ الاغاني (١٠/ ٢٨ وما بعدها) .
٣ غسان (ص ٤٨) .
٤ البرقوقي (ص ٢١٩) .
٥ البرقوقي (ص ١ وما بعدها) .
٦ البرقوقي (ص ١١٠) .

(دمشق) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن نحمله محمل المجاز أو محمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تأريخي يقول باستيلاء الغساسنة على (دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التأريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشأم ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأصلح لهم تركها الى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة اليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأملاك اشتراها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في (دمشق) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي اوروبة يقيمون فيها بعض الوقت للتسلية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صوّر الشأم وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان (آل جفنة) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم . وقد أشير الى رجل عرف بـ (أرطبان المرني) ، قيل انه كان (شماساً) في (بيعة غسان)[1] ، مما يدل على انها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى الى الغساسنة ، وذلك بالاضافة الى الأماكن التي سبق ان تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا ان منزل (جبلة بن النعمان) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ[2].

ومن الأماكن المنسوبة الى الغساسنة موضع (حارب) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب الى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء التي عند حارب[3]

وورد (قصر حارب) . وقد نسبه (حمزة) الى النعمان بن عمرو بن المنذر[4] .

---

١ الاصابة (١٠٢/١) .
٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الاول ، (ص ٥٨٦) .
٣ البلدان (١٨٣/٢) ، البكري ، معجم (٤١٧/١) ، المعاني الكبير (١٠١٥/٢)
٤ حمزة (ص ٧٩) ، الهمداني ، صفة (ص ١٧٩) .

ويذكر أهل الأخبار (السويداء) في جملة الأماكن التابعة للغساسنة . وقد رجع (حمزة) بناءها الى (النعمان بن عمرو بن المنذر)[1] . وتقع في (حوران)[2] .

والرصافة من المواضع المهمة عند الغساسنة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الغساسنة ، وكانوا يتبركون بزيارة قبره،ويتقربون اليه بالهدايا والنذور . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا باصلاح ما كان يتهدم منها ، فقام (النعمان بن الحارث بن الأيهم) باصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان (النعمان بن جبلة) فيمن أقام بها[3] .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيّرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والامارات التي تكوّنت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزماً . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلّص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق،والى فلسطين الثانية و (الكورة العربية) و (فلسطين الثالثة) و (فينيقية لبنان) . والى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان[4] . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير،لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى (خليج العقبة)[5] .

وتعدّ منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قُبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الاداري عند الروم،وبها كان في الغالب مقر آل غسان[6]. وقد اشتهرت (الجابية) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

---

١ حمزة (ص ٧٩) .
٢ الحموي ، المشترك (ص ٣١١) ، مراصد الاطلاع (٢/٧٠ وما بعدها) .
٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .
٤ غسان (ص ٥١) .
٥ المشرق ، السنة الاولى ، حزيران ١٨٩٨ م (٤٨٥) .
٦ غسان (ص ٥١ وما بعدها) ، John of Ephesus, 4, 22.

كما عرفت أيضاً بجابية الجولان[1] .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشتى الذي نقلت بعض أحجار جدرانه المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي (البرج) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار (المنذر) . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

أمراء غساسنة :

وذكر الأخباريون أميراً جفنياً دعوه (جفنة بن النعمان الجفني) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ عديّ بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقرٌ فأشعل جانبيها وألهاك المروّح والغزيب[2]

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) اسم رجل من غسان ، دعاه (خالد بن جبلة الغساني) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جَبَلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا منذرين ، ونُعمانين ، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمّال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة »[3] . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب (كسرى) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر »[4] .

---

١ Ency., I, P. 1029.

٢ الاغاني (١١٧/٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب) .

٣ الاخبار الطوال (ص ٦٨) .

٤ الاخبار الطوال (ص ٩١) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من (جبل الثلج) حتى جانبي (أيلة) ، وانهما غزوا أرض فارس[1] . ويرى (نولدكه) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُنّي بأبي حجر[2] .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عمراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر[3] . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويقتضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة (مشيخات) .

ويرى (ابن الأثير) أن : أبا جبيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وانما كان من (بني غضب بن جشم بن الخزرج) ، ذهب الى غسان فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم ، واليه ذهب (مالك بن العجلان الخزرجي) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأنجده وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان[4] .

ولعل (أبا جبيلة الغساني) ، الذي ذهب اليه الشاعر الجاهلي (الرمق بن زيد ابن غنم)[5] ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم في ديار الشأم[6] ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : «اليك ابن جفنة»[7] ،

---

١ من يغر الدهر أو يأمنه ... من قبيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى ... جانبي أيلة من عبد وحر
الاغاني (٣/١٦) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، البرقوقي (ص ٢٠٥) .

٢ غسان (ص ٤٤) .

٣ الاغاني (٣/١٦) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

٤ الكامل ، لابن الاثير (١/٢٧٦) .

٥ البيان (١/٢٣٨) .

٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكا ... كراما بالشام ذات الرفيف
ديوان الاعشى (ص ٣١٥) ، (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، (ص ٢١١) (طبعة كاير) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .

٧ اليك ابن جفنة من شقة ... دأبت السرى وحسرت القلوصا
القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الاعشى (ص ٢٠٧) ، (طبعة م. محمد حسين) ، (١٣٩) ، (طبعة كاير) ، (Geyer)

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل الينا اسم أمير من غسان ، هو (الشيظم بن الحارث الغساني) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غيرة من القوم، فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض، حتى نزل بحيّ من (بهراء) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورمحاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدّياً ، فأتى قبته ، وقصّ قصته، فبعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم[1] .

قوائم ملوك الغساسنة :

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الاشارة الى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت اذا درست هذا الذي رووه عنهم ، وحللته تحليلاً علمياً لا تخرج منه الا بنتائج تأريخية محدودة ضيقة تريك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم الا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار واعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت اذا راجعت التواريخ مثل تأريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التأريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك الى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قيل فيها . فلولاه ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحتى القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً الى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه اظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد

---

١ النوادر ، للقالي (ص ١٧٩) ، (خبر الشيظم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيرا) .

أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية (ابن الكلبي) ، غير أنهم كما يظهر من مدوّناتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى، واستعان بعض آخر بما رواه (ابن الكلبي) وبما رواه غيره وأضافوا اليه ما عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة (غسان) ، ولم يكونوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها،وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكمات وفي منطق التأريخ .

وقد درس (نولدكه) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها ، وقارن الحاصل بما وجده في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبوكرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر النعمان . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن النعمان .

؟ ؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورتب (ابن قتيبة الدينوري) ، أسماء ملوك الغساسنة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو (الحارث الأكبر)،ويكنى (أبا شمر).

الحارث بن أبي شمر ، وهو (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) . وأمه (مارية ذات القرطين) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان .

ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأيهم بن الحارث . وهو أبو (جبلة ابن الأيهم) ، وجبلة آخر ملوك غسان[1] .

وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملكوا من آل غسان أحد عشر ملكاً ، ذكر منهم :

١ ــ الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن ماس (مازن) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .

٢ ــ الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .

٣ ــ النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

٤ ــ المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .

٥ ــ عوف بن أبي شمر .

٦ ــ الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .

٧ ــ جبلة بن الأيهم[2] .

وذكر المسعودي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً . ولم يذكرهم في قائمته كلهم[3] .

أما ملوك (الغساسنة) ، على ما جاء في (كتاب المحبر) ، فانهم على هذا النحو : (ثعلبة) ، فابنه (الحارث) ، فابنه (جبلة) ، فابنه (الحارث) وهو المعروف بـ (ابن مارية ذات القرطين) ، و (النعمان بن الحارث) ، و (المنذر) ابنه ، و (المنيذر بن الحارث) ، و (جبلة بن الحارث) ، و (أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن جفنة) ، و (الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

---

١ المعارف (٦٤٢ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٢ مروج (٨٢/٢ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
٣ مروج (٨٦/٢) ، (دار الاندلس) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحسحاس) وهو (حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية، فلم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم (جبلة بن الأيهم بن جبلة) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب[1] .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التي طبعها (هرشفلد) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالحارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الاسلام »[2] .

قائمة حمزة :

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان،القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

١ ــ جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .
٢ ــ عمرو بن جفنة .
٣ ــ ثعلبة بن عمرو .
٤ ــ الحارث بن ثعلبة .
٥ ــ جبلة بن الحارث .
٦ ــ الحارث بن جبلة .
٧ ــ المنذر بن الحارث .
٨ ــ النعمان بن الحارث .
٩ ــ المنذر بن الحارث .
١٠ــ جبلة بن الحارث .
١١ــ الأيهم بن الحارث .

---

١ المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ ديوان حسان (ص ٩٦) ، (هرشفلد) .

١٢ – عمرو بن الحارث .
١٣ – جفنة بن المنذر الأكبر .
١٤ – النعمان بن المنذر الأكبر .
١٥ – النعمان بن عمرو .
١٦ – جبلة بن النعمان .
١٧ – النعمان بن الأيهم .
١٨ – الحارث بن الأيهم .
١٩ – النعمان بن الحارث .
٢٠ – المنذر بن النعمان .
٢١ – عمرو بن النعمان .
٢٢ – حجر بن النعمان .
٢٣ – الحارث بن حجر .
٢٤ – جبلة بن الحارث .
٢٥ – الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .
٢٦ – النعمان بن الحارث (أبو كرب) .
٢٧ – الأيهم بن جبلة بن الحارث .
٢٨ – المنذر بن جبلة .
٢٩ – شراحيل بن جبلة .
٣٠ – عمرو بن جبلة .
٣١ – جبلة بن الحارث .
٣٢ – جبلة بن الأيهم .

وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي[1] . واكثر اعتماده في النقل على الطبري .

---

١ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبذ التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليح . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة[1] .

وقد ناقش نولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكّن من الحصول عليها، وأظهر ما فيها من خلل ونقص في نهاية ذلك البحث[2] .

---

١ ابن خلدون (٢/٢٨٠) .

٢ (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، (وصفحة ٥٣) من النص الالماني .